خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١١/٠١/١٤

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف ٢٠٠)

حين قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ" قصدت أن حياة حضرته ﷺ كانت صورة عملية لأحكام القرآن الكريم والأخلاق، وبهذا فقد كشفتْ لنا البحرَ الواسع لأسمى أخلاقه وحثَّتْنا على البحث عن لآلئ قيِّمة غالية في هذا البحر، وبينت لنا أن كل لؤلؤة نفوز بها سنجد عليها ختم سيدنا الحبيب محمد المصطفى ﷺ.

فهذا هو مقام ختم النبوة الذي يتبين لنا من قول الله ﷻ ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة ٤) فقد أكمل الله الدينَ وأتم النعمة على يد النبي ﷺ بإنزال آخر كُتب الشريعة على حضرته ﷺ، فمن ذا الذي يفهم هذا الكتاب الإلهي ويدرك مشيئة ربه أكثر من حضرته ﷺ؟ فإذا كان كل جانب من حياته يمثل صورة عملية للقرآن الكريم من ناحية، فإنه ﷺ قد قدم لنا أسوةً حسنة من ناحية أخرى، كما بيَّن الله ﷻ في القرآن الكريم.

الآن سأقدّم لكم بعض النماذج لجانبٍ جميل من جوانب سيرته وهو العفو. فحين تمسك بالعفو زاد السعداء حبا وعشقا له، أما المنافقون فحين غضَّ الطرف عن قذارتهم عملا بالتوجيه الإلهي ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ تبيَّن للعالم طبيعتهم السيئة.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: لقد سمع المقربون إلى الله أشنع السباب والشتائم الكثيرة من الأعداء وأُوذوا إيذاء شديدا لكنهم تلقَّوا توجيها من الله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فقد واجه نبيُنا الكريم الإنسانُ الكامل ﷺ أشدَّ الإيذاء وسبَّه الأعداء وأساءوا إليه وتجاسروا عليه، أما ذلك الخُلق المتجسِّدُ فقد دعا اللهَ ﷻ لهم. ولما كان الله ﷻ قد وعده بأنه إذا أعرض عن الجاهلين فسوف يعصم شرفه وروحه، ولن يتمكن منه هؤلاء السوقيون، لذا لم يستطع أعداؤه أن ينالوا منه وخرّوا على قدميه أذلاء صاغرين أو قد هلكوا.

هذا الأمر من حيث النطق سهل هين غير أن مواجهة المظالم لفترة طويلة ومشاهدة أصحابه يتعرضون للاعتداءات، ثم حين نال القوة والسيطرة سجل

نماذج العفو الذي لم يسبق له نظيرٌ في تاريخ العالم، فهذا الخُلق تميَّز به النبي ﷺ وحده.

ثم تمسك حضرته ﷺ بالصبر على أعمال المنافقين والمسلمين الذين لم يتلقوا تربية كافية، فهذا الأمر ليس أمرا هينا. فإذا كان هناك مؤرخ ينظر بنظرة الإنصاف فلن يجد بدا من الاعتراف – رغم اختلافه الديني – بأن تحمُّل النبي ﷺ وعفوَه وكل خلق من أخلاقه كان منقطع النظير، كما قد صرّح بذلك فعلا بعض المؤلفين المسيحيين والهندوس أيضا.

على كل حال أقدِّم لكم من سيرة النبي ﷺ بعض الأحداث التي تُلقي الضوء على عظيم أخلاق النبي ﷺ.. أي العفو. وأتناول أولا أحداث زعيم المنافقين عبد الله ابن أبي بن سلول الذي كان قد أسلم في الظاهر لكنه لم يكن يفوِّت أي فرصة للإساءة الشنيعة إلى النبي ﷺ. فهذه الأحداث كانت تظهر في المدينة باستمرار، وكان السبب الحقيقي لعدائه أن سكان المدينة كانوا يفكرون في أن يجعلوه زعيما عليهم قبل هجرة النبي ﷺ إليها، لكن حين هاجر ﷺ إليها وتقبلتْه كلُ قبيلة وأتباعُ كل دين رئيسا لهم، صار يكنّ لحضرته العداء سرّا دون جهر وظل عداؤه وحقده وبغضه يتزايد يوما بعد يوم.

وهناك رواية حدثت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة وقبل معركة بدر وهي تلقي الضوء على الحقد الذي كان يكنّه عبد الله بن أبيّ بن سلول في قلبه، وكيف كان النبي ﷺ يتمسك بأهداب الصبر مقابل ذلك. وهذا الصبر كان ناجما في الحقيقة عن العفو، الذي تجلّى بوضوح في ردود فعله ﷺ في المستقبل. على كل حال قد ورد في رواية عَن ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ

أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلاطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِم الْقُرْآنَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا فَلا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ. فَلَمْ يَزَلْ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَكَتُوا فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَاب؟ يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ. قَالَ: سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ مَا أَعْطَاكَ وَلَقَد اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ. (البخاري كتاب المرضى بَاب عِيَادَةِ الْمَرِيضِ رَاكِبًا وَمَاشِيًا وَرِدْفًا عَلَى الْحِمَارِ)

فعفا عنه رسولُ الله ﷺ ليس لقول سعد بن عبادة، بل الحقيقة أن حضرته ﷺ قد كلّمه في ذلك ليُطلعه على المعاملة التي تلقّاها من ابن سلول لكنه سيستمر في العفو عنه. ثم ورد في الرواية أنه ﷺ وصحابته كانوا يعفون عن المشركين وأهل الكتاب ويصفحون عنهم كما أمرهم الله بذلك، وكانوا يصبرون على

ما يصيبهم من الأذى والاضطهاد منهم. ثم بعد فترة قصيرة أسلم عبد الله بن أبي في الظاهر لكنه ظل يسعى لإيذائه ﷺ على الدوام بمكائده الناجمة عن النفاق.

عن جَابِر بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِن الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِن الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ قَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِن الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِن الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ. (لقد بدأ الشجار على التسابق على شرب الماء إذ قال المهاجري أشربُ أولا وقال الأنصاري لا بل أنا أول من يشرب، على أية حال) لما علم عن ذلك عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ قَالَ: أَوَقَدْ فَعَلُوا؟ وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ. (البخاري، كتاب تفسير القرآن)

فعلى الرغم من هذه التصرفات غير اللائقة اعتبره النبي ﷺ من أصحابه ما دام يظهر نفسه مسلمًا.

وقد ورد في الروايات أن النبي أرسل إلى عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، كما أن بعض الأنصار أيضا شفعوا لهم عند النبي ﷺ محتجين بأن زيدًا – الذي قال بأنه سمع هذا القول من أفواه المنافقين – يكون قد أخطأ لكونه صغير السن. على أية حال لم يسألهم رسول الله ﷺ شيئًا إلى أن أخبره الله تعالى بالوحي أنه قد حدث ما نقل إلى النبي ﷺ، فعلم الجميع وذُكر الأمر في

القرآن الكريم كالتالي: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(المنافقون: ٩)، لم يكن أحد أكثر علمًا من النبي ﷺ بكذب عبد الله بن أبي بن سلول ونفاقه بعد هذا الوحي الإلهي، بل كان النبي ﷺ بفراسته النيرة يدرك قبل هذا الحدث أيضا أنه منافق ولكنه كان يعرض عن ذلك. مع كل هذا فلما أتى عبد الله بن عبد الله بن أبي رسولَ الله ﷺ – وكان شابًا مسلمًا مخلصًا – فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل أبي، فإن كنتَ فاعلاً فمُرْني به، فأنا أحمل إليك رأسَه، فوالله إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمسي في الناس فأقتله، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا. (عيون الأثر: غزوة بني مصطلق)

فقال النبي ﷺ لن أعاقبه فقط بل أترفق به وأحسن إليه.

هذه هي الغزوة التي تخلفت فيها عائشة رضي الله عنها عن معسكر المسلمين بعد رحيله، فمر من هناك أحد الصحابة الذي كان على ساقة العسكر ليلتقط ما يسقط من متاع المسلمين، فلما رآها قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! كانت عائشة رضي الله عنها نائمة فأفاقت بصوته فالتفت بثيابها، فقرّب هذا الصحابي بعيرَه إليها وأناخه فلما ركبتْه أخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس فلما أدركا معسكر المسلمين قال أهل الإفك ما قالوا واتهموا حضرة عائشة رضي الله عنها باتهامات شنيعة. فلما بلغ النبي ﷺ هذه التهم القذرة اضطرب كثيرًا لأن اتهام عائشة إنما كانت محاولة للإضرار بالنبي ﷺ. ثم بعد ذلك لما وصل المسلمون المدينة جاء النبي ﷺ إلى مسجده في أحد الأيام وقال:

لقد بلغني أذى شديد في أهل بيتي. مع كل ذلك فقد تحمل النبي تعسف المنافقين واعتداءاتهم و لم يعاقب المتهمين فورًا، حتى إنه لم يعاقبهم بعد أن برّأ الله تعالى بوحيه عائشة من تلك التهمة التي كانوا يلصقونها بها باطلا، بل عفا عنهم، ولقد ورد في الروايات أنه لَمَّا مات عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيٍّ جاءَ ابنُهُ (الذي كان شابًّا مسلمًا ومخلصًا كما قلتُ) إِلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، فأَعطاهُ إِيَّاهُ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) بل كان ﷺ من دافع الشفقة والرحمة والعفو قد جاء عند موته فصلى عليه ثم دعا له على قبره، إلا أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يتقبل أن يصلي النبي على إنسان معلوم النفاق وقال للنبي ﷺ ألم يقل الله تعالى عن المنافقين: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال النبي ﷺ: لقد خيّرني فيه ربي وسأستغفر له أكثر من سبعين مرة يا عمر، ولعل الله يغفر له. أي سأستغفر له أكثر حتى يغفر له. وهذه هي أسوته التي أظهرها تجاه المنافقين.

تفصح هذه الواقعة عن عفو النبي ﷺ عن زعيم المنافقين، والآن أقدم لكم بعض الأمثلة الأخرى، على سبيل المثال كان بعض الأعراب الجهلة الذين لم يتربوا تربية إسلامية بل كانوا لا يزالون على أخلاقهم البالية فلم يكونوا يعرفون مكانة النبي ﷺ لذلك كانت تصدر منهم في بعض الأحيان تصرفات غير لائقة بمقام النبي ﷺ، أقدم لكم بعض الأمثلة لعفو النبي ﷺ عن هؤلاء، فقد ورد في إحدى الروايات عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ

الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. (متفق عليه) ثم قال له الأعرابي: احملني على بعيريَّ هذين، فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي ﷺ قليلا ثم قال: المال مالُ الله وأنا عبده. ثم قال له النبي ﷺ: لا أحملك حتى تفتدي من جبذي الذي جبذتني. فقال الأعرابي: والله لا أفتديكها، فسأله النبي ﷺ: و لم لا؟ فقال لأنك لا تدفع السيئة بالسيئة، فتبسم النبي ﷺ. (لقد تجرأ هذا الأعرابي على هذا القول لأنه كان يعرف عفو النبي ﷺ وحِلمه ورِفقه)، فقال النبي ﷺ: احملوا له بعيرين: على بعير شعيرا، وعلى الآخر تمرا. (شعب الإيمان للبيهقي)

وأقدم الآن بعض الأمثلة على عفو النبي ﷺ عن أعدائه:

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِلْمًا فَعَفَا عَنْهُمْ. (مسند أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك)

هل يمكن لأحد أن يقدم نموذجًا لمثل هذا العفو العظيم، إذ إن النبي ﷺ يعفو عن مجرمي الحرب ويشفق عليهم قائلا: اذهبوا، أنتم الطلقاء ولا عقاب لكم.

ثم هناك رواية أخرى عن هشام بن زيد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ أَنَّ يَهُودِيًّا مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:... أَتَدْرُونَ مَا قَالَ؟ قَالَ السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: أَلا نَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: لا. (مسند أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك)

وبذلك علّمنا درسا أنّ رحمته لا تسع الأقارب فقط، بل تشمل الأغيار والذين اضطهدوه أيضا، وإنما تجب المعاقبة على الجرائم التي عليها حدود أي التي حدد الله تعالى عقوبة على فعلها، وذكرها في القرآن الكريم وأخبر عنها بوضوح تام.

والمعروف أن يهودية حاولت أن تدسّ له ﷺ ولأصحابه السم، ولكن النبي ﷺ عفا عنها مع اعترافها بالجريمة. غضب الصحابة حيال هذا الموقف وسألوه ﷺ ليقتلوها ولكنه رفض ذلك رفضا باتا.

وهناك رواية طويلة يقول فيها "وحشي": قتلتُ حمزة في معركة أُحد ثم أقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلا وقالوا إنه لا يهيج الرسل فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأني قال أنت وحشي؟ قلت نعم قال أنت قتلتَ حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر الذى بلغك يا رسول الله. (فعفا ﷺ عن جرائمه كلها و) قال أما تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال فرجعتُ. (أي إلى المدينة).

يتبين مدى عفوه ﷺ من أنه سأل وحشيا أمورا أخرى حول استشهاد حمزة رضي الله عنه وكيفية شهادته وماذا فعل به بعد الاستشهاد. يقول الصحابة رضي الله عنهم إن عينيه ﷺ كانتا تسيلان دموعا حينذاك. ولا بد أن تذرف عيناه دموعا على ذكرى عمّه الذي نصره ﷺ مقابل أبي جهل وتكاتف معه في وقت العسرة، ولكنه عامل قاتل حمزة معاملة حسنة وعفا عن وحشي رغم حيازته القوة والقدرة.

ومعلوم أنه ﷺ أمر بقتل عكرمة بن أبي جهل بعد فتح مكة، لأنه كان مجرم حرب، وقد أمر النبي ﷺ بقتله لأنه وأباه كانا أشد الناس تعذيبا للنبي

والمسلمين. حين علم عكرمة أنه قد صدر القرار بقتله فرّ إلى اليمن فخرجت زوجته بنت الحارث بن هشام في طلبه، وكانتَ قد اتبعت رسول الله ﷺ، فأدركته في ساحل من سواحل تهامة. وفي رواية: "وقد ركب البحر"، فجعلت تلوح إليه وتقول: يا بن عم، جئتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس. لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك فأمنك... فرجع معها... فقال: يا محمد، إن هذه أخبرتني أنك أمّنتني؟ فقال رسول الله ﷺ: "صدقتْ وأنتَ آمن". قال عكرمة: فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده، ورسوله... فطأطأ عكرمة رأسه استحياء. ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لي كل عداوة عاديتُكها أو مركب أوضعت فيه أريد به إظهار الشرك، فقال رسول الله ﷺ "اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، ومنطق تكلم به". فهل يوجد أيّ نظير لمثل هذا العفو العظيم؟ اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلّم إنك حميد مجيد.

كان هناك شخص اسمه فضالة بن عمير، اقترب من النبي ﷺ وأراد قتله وهو يطوف بالبيت، عام الفتح، فلما دنا منه كشف الله عليه ﷺ خُطته، فقال: ﷺ "أَفُضالةُ؟" قال: نعم. قال: "ماذا كنت تحدث به نفسك؟" قال: لا شيء. أي حين علم النبي ﷺ بخبايا قلبه بدأ يكذب ويقدم أعذارا واهية، فقال: كنت أذكر الله، فضحك رسول الله ﷺ وقرّبه بحب، ووضع يده على صدره دون أن يخاف أن فضالة يحمل أسلحة ودون أن يهاب نيَّاته. وكان فضالة يقول: "والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق شيء أحب إلي منه."

فهذه هي معاملة سيدنا محمد ﷺ مع أعدائه. فحين أُخذ المجرم بجرم مشهود أصابه ﷺ بسهم الحب بدلا من أن يقتله، حتى أصبح العدو على أتم الاستعداد ليضحي بنفسه من أجله. هل ينافسه ﷺ في الرحمة والعفو أحد؟ فعلينا أن نتذكر دائما قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢٢) ويجب على المسلمين جميعا اليوم أن يعملوا بحسب هذه الأسوة ويتوجهوا إليها، ليتهم يفقهون.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا.

وروي عن عمر ﷺ أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا. فلقد وُطئ ظهرُك وأدمى وجهُك وكُسرت رباعيتك فأبيت إلا أن تقول خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد عفا سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ عن أهل مكة وغيرهم بعد أن انتصر عليهم كليا وأصبحوا تحت سيفه، ولم يعاقب إلا بضعة منهم الذين صدر من الله تعالى الأمر القاطع بمعاقبتهم. فغفر ﷺ لكل عدو ذنبه ما عدا هؤلاء الملعونين من الأزل. وأعلن للجميع "لا تثريب عليكم اليوم" بعد الانتصار عليهم. فبسبب هذا العفو عن تقصيراتهم – الذي كان يبدو في نظر المعارضين

مستحيلا رأوا أنفسهم مقتولين نظرا إلى شرورهم حين وجدوا أنفسهم في قبضة معارض لهم – قد أسلم آلاف الناس في لمح البصر".

هذا هو عفو النبي ﷺ الذي كان يبدو محالا في نظر المعارضين أن يظهر أحد عفوا مثله. ولكن ماذا كانت النتيجة حين رأوا هذا العفو وهذه المعاملة الحسنة من النبي ﷺ إلا أن أسلموا. ليت المسلمين يفهمون هذه النقطة اليوم، فلو فعلوا ذلك لكان ذلك مدعاة لتقدم دعوة الإسلام أضعافا مضاعفة. ليتهم يخرجون من قبضة عصابة المتطرفين ويتأملوا في هذه الأسوة الحسنة التي قدّمها لنا سيدنا ومولانا ومطاعنا محمد المصطفى ﷺ. وهبهم الله العقل والفطنة، آمين.